



## المباحث البلاغية ومقاصدها التفسيرية والإعجازية في آيات الإنقلاب – دراسة تحليلية

م.م علا سالم جبار الجبوري

جامعة الكوفة / كلية التربية / قسم اللغة الإنكليزية

**Research Title: Rhetorical Studies and Their Interpretive and Miraculous Purposes in the Verses of the Revolution – An Analytical Study**

**Researcher name: Ola Salem Jabbar**

**Address: Najaf Al-Ashraf**

**Work location: University of Kufa / College of Education**

**olas.aljubouri@uokufa.edu.iq**

الكلمات المفتاحية باللغة العربية: البلاغة ، التفسير ، إنقلاب ، آيات ، اعجاز ، مقاصد

Rhetoric, interpretation, revolution, verses, miracle, objectives

الخلاصة :

تعدّ علم البلاغة من أهمّ العلوم التي حدّمت القرآن الكريم، إذ مثّل الأداة الأساس في الكشف عن جماليات النظم القرآني، وبيان أوجه إعجازه البياني، واستجلاء مقاصده التفسيرية ، فالبلاغة في جوهرها ليست مجرد صنعة لفظية أو زخرف بياني، بل هي منهج في فهم الخطاب القرآني واستنباط دلالاته من خلال التفاعل بين اللفظ والمعنى، وبين الصورة والمقصد، ومن ثمّ، فإنّ دراسة المباحث البلاغية تمثّل مدخلاً علمياً لفهم طبيعة الإعجاز القرآني ومقاصده التعبيرية والتأثيرية في آنٍ واحد.

In conclusion:

Rhetoric is one of the most important sciences that served the Holy Quran, as it represented the basic tool in revealing the aesthetics of the Quranic structure, explaining the aspects of its rhetorical miracle, and clarifying its interpretive purposes. Rhetoric, in its essence, is not merely a verbal craft or rhetorical embellishment, but rather a method for understanding the Quranic discourse and deducing its meanings through the interaction between the word and the meaning. Between the image and the intention, and therefore, the study of rhetorical topics represents a scientific approach to understanding the nature of the Qur'anic miracle and its expressive and influential intentions at the same time.

المقدّمة

تبارك الذي نزل القرآن على عبده ليكون للعالمين نذيراً، والحمد لله الذي هدانا به وأخرجنا من الظلمات إلى النور، وصلى الله على نبينا محمد الذي نزل القرآن الكريم بلسانه لساناً عربياً مبيناً، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وأصحابه الأخيار وسلم تسليماً كثيراً

وبعد:

إنّ البحث في الدراسات البلاغية يعد من الأهمية بمكان؛ وذلك لأنه جهد يصب أولاً في خدمة كتاب الله العزيز، والمساهمة في إظهار جوانب الإعجاز فيه، والإشارة إلى الصور البديعة التي يشتمل عليها القرآن الكريم، وتوضيحها وتبيينها في صورة يسيرة تعين على فهم المراد من الصور البلاغية التي يزخر بها



القرآن الكريم، وأنّ مجموع ما وقف عليه العلماء من أسرار الإعجاز لا يُمثل إلا جزءاً يسيراً من القرآن ، ولا يخفى على دارس أنّ الإعجاز جاء في القرآن كله ، فلا بد من مضاعفة الجهد للمزيد من الدراسات البلاغية في النص القرآني، ومن هذا الباب أردتُ الخوض في بيان المباحث البلاغية في آيات الانقلاب والذي وسمته بـ (( المباحث البلاغية ومقاصدها التفسيرية والإعجازية في آيات الانقلاب -دراسة تحليلية))، للنظر في ألفاظه من جهة فصاحتها وفي نظمه من جهة أخذ كل كلمة الموضوع اللائق بها، وفي دلالاته من جهة أخرى تصوير المعاني وإيصالها إلى الأذهان من غير تعسف ولا التواء، ثم من الجملة من جهة ما تحمل المعاني التي تستدعي المقام لمراعاتها.

واقترضت طبيعة البحث أن يقوم على مقدّمة ومبحثين، وسمتُ المبحث الأول بـ (البلاغة مفهوماً ونشأة)، بينما المبحث الثاني جاء (البُعد التطبيقي للمباحث البلاغية في آيات الانقلاب) وشفعتُ هذا كلّه بخاتمة تضمنت أهم النتائج التي توصل إليها البحث، ومن ثمّ قائمة بالمصادر والمراجع.

المبحث الأول: البلاغة مفهوماً ونشأة

نالت البلاغة أهمية كبيرة عند العرب قديماً وحديثاً، و تناولها الباحثون في أبحاثهم ومؤلفاتهم، إذ ورد في كتاب العين أنّ البلاغة من (( بلغ، بليغ، وقد بلغ بلاغة، وبلغ الشيء يبلغ بلوغاً، وأبلغته إبلاغاً، وبلغته تبليغاً في الرسالة ونحوها، وكذا بلاغ وتبليغ أي كفاية وشيء بالغ))<sup>(١)</sup>، وعرفها ابن فارس(ت: ٥٣٩٥هـ) أنّها من (( بلغ : الباء واللام والغين أصل واحد وهو الوصول إلى الشيء، تقول: بلغت المكان إذا وصلت إليه، وقد تسمى المشاركة بلوغاً نحو المقاربة، كذلك البلاغة التي يمدح بها الفصيح اللسان لأنّه يبلغ بها ما يريد))<sup>(٢)</sup>، أمّا ابن منظور (ت: ٥٧١١هـ) (( بلغ الشيء يبلغ بلوغاً وبلاغاً، وصل وانتهى، وأبلغه وهو إبلاغاً وبلغه تبليغاً، والبلاغة الفصاحة، وقد بلغ، بالضم بلاغة أي صار بليغاً، وقول بليغ: بالغ وقد بلغ))<sup>(٣)</sup>.

ونخلص ممّا سبق أنّ المعنى اللغوي للبلاغة يتلخص في أنّ البلاغة تعني الوصول والانتهاء إلى الشيء أو الكفاية.

أما في الاصطلاح

عرفها الرماني بقوله : ((إيصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ))<sup>(٤)</sup>، أمّا القزويني (٧٣٩هـ) عرفها بأنها: (( مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته))<sup>(٥)</sup>، وعرفها أبو هلال العسكري(ت: ٣٩٥ هـ) بقوله: ((البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع، فتمكنه في نفسه، كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن))<sup>(٦)</sup>، وعرفها الجرجاني (٤٧١ هـ) بقوله: ((البيان هو تأدية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب إلى القبول وأدعى إلى التأثير وفي صورتها وأجراس كلمها بعبوبة النطق وسهولة اللفظ والإلقاء والخفة على السمع))<sup>(٧)</sup>، وعرفها الأمدى(ت: ٥٣٧٠هـ) بأنها: ((

(١) - أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي ، مادة( بلغ) ١/١٦١.

(٢) -معجم مقاييس اللغة، مادة( بلغ) ١/١٥٦.

(٣) -ابن منظور، مادة(بلغ) ١/١٤٣.

(٤) -النكت في إعجاز القرآن، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، ٧٥ - ٧٦، و البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، د. بكري شيخ أمين، ٢٦/١.

(٥) - المدخل لدراسة البلاغة العربية، محمد أبو شارب، ٢٠٣.

(٦) - الصناعتين، ١٠.

٧ - أسرار البلاغة في علم البيان، ٣.



إصابة المعنى وإدراك الغرض بألفاظ سهلة عذبة مستعملة، سليمة من التكلف، لا تبلغ الهدر الزائد على قدر الحاجة، ولا تنقص نقصاناً يقف دون الحاجة ((<sup>(٨)</sup>).  
ومما تقدّم نلاحظ أنّ التعريفات جميعها تقوم على أساس اللفظ والمعنى، وتؤكد أنّ البلاغة هي إيصال المعنى المراد إلى قلب السامع مع التعبير عنه بأسلوب جميل.

### نشأة البلاغة عبر العصور

من المسلّم به أن البلاغة بوصفها علماً ذا قواعد وقوانين لم تكن كذلك دفعة واحدة، بل كانت شذرات متفرقة ولولواً منثوراً هناك وهناك التقطها الغواص حتى بدت باسقة الظلال وارقة الأفنان ممتدة الجذور في العصر الجاهلي، ومن ثم في العصر الإسلامي، فالبلاغة شأنها شأن العلوم الإسلامية الأخرى مرت بمراحل عدة حتى اكتمل نضحها، وأصبحت علماً مستقلاً قائماً بذاته، العرب أمة فصاحة وبيان مذ عصور خلت عمل موسوم لذا نجدتها تتكلم بسلاسة دونما أي تكلف ولا حتى خبل وخطل وخير دليل ذلك الشعر الذي خلفته قرائح الشعراء في العصر الجاهلي؛ كون الشعر عندهم صناعة يقول شوقي ضيف: من يرجع إلى صناعة الشعر العربي في أقدم نماذجها يرى صعوبة هذه الصناعة وأنها ليست عملاً عفلاً، بل هي بتقاليد ومصطلحات كثيرة، وتلك آثار الشعر الجاهلي تتوفر فيها قيود ومراسيم متنوعة؛ ولعل ذلك ما جعل جويدي يقول: ((إنّ قصائد القرن السادس الهجري الميلادي جديرة بالإعجاب تنبئ بأنها ثمرة صناعة طويلة))<sup>(٩)</sup>، ولعلّ جذور البلاغة قد كان منبتها بوضوح في ما نلاحظه من مفاضلة بين شاعر وشاعر آخر، وقد كان مقياس هذا الحكم الذوق الفطري والحس المرهف ولعل من نماذج ما روته أمات الكتب الأدبية؛ كالذي روي عن أم جندب زوج امرئ القيس حين عرض عليها أن تقضي بين امرئ القيس زوجها وبين علقمة الفحل فحكمت لعلقمة، وقالت لزوجها: علقمة أشعر منك" قال: كيف؟ قالت: لأنك قلت:

فلسوط الهوب وللحاق درة  
فجهدت فرسك بسوطك في زجرك، ومريته فأتعبته بساقك، وقال علقمة:  
فأدر كهن ثانيا من عنانه  
فأدر ك فرسه ثانيا من عنانه، ولم يضربه ولم يتعبه.

فالشيء من قول أم جندب أن علقمة قد تفوق على امرئ القيس بتعبيره وتركيبه السلس من منطلق البيئة التي يطعن فيها، فقد وصف فرسه بما تحويه الظاهر بينتهم آنذاك.  
ولعلّ من أسباب رواج البلاغة في العصر الجاهلي تلك الأسواق التي قد كانت تقام كل سنة في مكة؛ مما جعلت حسهم البلاغي يزدهر ويربو في الأوساط العربية، فهذه الأسواق التي كانت تقام فيها المفاخرة والمباراة بالشعر يجعل الشاعر يعمل عقله ويجهد نفسه حتى يخرج قصيدة بالغة النظم عظيمة الفصاحة، تقعه على عرش البيان وتوضع له قبةً من آدم، وفي هذا يقول أحمد حسن الزيات: كانوا يقيمونها في أشهر السنة للبياعات والتسوق، وينتقلون من بعضها إلى بعض فتدعوهم طبيعة الاجتماع إلى المقارضة بالقول والمفاوضة في الرأي والمباهاة بالشعر، والمباهاة بالفصاحة والمفاخرة بالمحامد وشرف الأصل، فكان من ذلك للعرب معونة على توحيد اللسان والعادة والدين والخلق؛ إذ كان الشاعر أو الخطيب إنما يتوخى الألفاظ العامة والأساليب الشائعة، قصداً إلى إفهام سامعيه وطمعا في تكثير متابعيه، والرواة من

(٨) - الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، ٦.

(٩) - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٢٦٣.



ورا لم يطبشرون شعره بين القبائل، وينشرونه في الأنحاء، فتننتشر معه لهجته وطريقته وفكرته، وأشهر هذه الأسواق: عكاظ ومجنة وذو المجاز وأولاهن أشهر فضلاً وأقوى أثراً في تهذيب العربية. (١٠)

إذن بداية بلاغة العرب نلمسها في تعاطي الشعر والتفاخر بالبيان؛ فحياتهم البدائية كانت بنيانها مبنية على ذلك، وعليه فإنّ عرب الجاهلية بلغوا من حسن البيان مبلغاً رفيعاً، جعلهم يميزون بين صور الكلام ويبدون بعض الملاحظات البسيطة وعليه، ونمت هذه الملاحظات بعد ظهور الإسلام، بما نصبه القرآن الكريم والحديث النبوي أمامهم من مثل أدبية رائعة، وسرعان ما استقروا في المدن والأمصار وارتقت حياتهم العقلية، مما هياً لملاحظات بيانية كثيرة عن الخطابة والخطباء والشعر والشعراء إذن البلاغة عند العربي في العصر الجاهلي شبيهة بالغريزة، غير مقصورة ولا محصورة على طبقة معينة، وإنما هي سمة كافة وقاطبة عن العرب، فاستمر هذا فيهم، وتسلسل في ذرايهم.

أمّا البلاغة في صدر الإسلام مما لا ريب فيه ولا شك أنّها في هذا العصر قد بلغت مبلغ رقي وازدهار؛ كونها مقرونة بأبلغ وأسمى نص عرفته البشرية وهو القرآن الكريم؛ هذا النص الذي حارت فيه فرسان البراعة وجهابذة اليراعة لما فيه من بيان وحسن نظم وقوة تركيب فكان المعجزة الخالدة؛ حتى إن من كان يُنظم الشعر فكبح لسانه عن قول الشعر، وعليه لا غرو أن نلمس البلاغة السحرية متطورة في هذا العصر؛ كونها خادمة للقرآن الكريم فيما بعد، وعليه ما يميز هذا العصر نزول القرآن وحيا من الله على نبيه محمد (ﷺ) وقد أحدث القرآن الكريم أكبر ثورة في حياة العرب الدينية والاجتماعية والسياسية؛ والسبب الأول لتأثيره في العرب هو فصاحته وبلاغته، ونال الصفة العربية الملازمة له إلى يوم الدين قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (يوسف: ٢)، ومما تجدر إليه الإشارة إليه أن الإسلام ما تم الشعر قبل كما زعم البعض، وهذا ما ورد في قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ (٢٢٥) وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ (٢٢٦) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا<sup>١١</sup> وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٤ - ٢٢٧)، فالأية ذم للشعراء، وفيها استثناء، وهذا الاستثناء يدخل فيه كل من حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وهم شعراء الرسول والمنافحون عن الدولة ويعم من سار على منوالهم وقد وردت بعض في ذم الشعر، في أخرى في استحسانه، وليس الذم مطلقاً، ولا المدح كذلك. وإنما بحسب ما يحمله الشعر من المضمون، والكلمة الفضل في موقف الدين من الشعر هو قول النبي (ﷺ): ((الشعر بمنزلة الكلام فحسنة كحسن الكلام وقبيحة كقبيح الكلام)) (١١)، وقال المناوي: ((قال النووي: يعني الشعر كالنثر فإذا خلا عن محذور شرعي؛ فهو مباح)) (١٢)، وكما تجدر الإشارة على أن الإسلام قد أولي اهتماماً بالغا بالبيان، فلو لم يكن ذلك لكان الإنسان والبهائم سواء يقول رب العزة: ﴿الرَّحْمَنُ (١) عَلَّمَ الْقُرْآنَ (٢) خَلَقَ الْإِنْسَانَ (٣) عَلَّمَهُ الْبَيَانَ (٤)﴾ (الرحمن: ١ - ٤) ضف إلى أن الرسول (ﷺ) سئل عن الجمال في الرجل، ما الجمال في الرجل؟ فقال: فصاحة لسانه، جميل أن نحسن البيان؛ فالبيان، سحر، لكن شريطة أن يفي بالغرض المرجو دونما أي خبل وخطل، فهو ليس وسيلة لقلب الحقائق وعكس ما نجده عند القدماء يقول أبو هلال العسكري قال ابن المقفع: ((البلاغة كشف ما أغمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل)) (١٣)، والذي قاله أمر صحيح لا يخفى موضع فيه على أحد من أهل التمييز والتحصيل؛ وذلك أن الأمر الظاهر الصحيح الثابت المكشوف؛ ينادي على نفسه بالصحة، ولا يحوج التكيف في صحته حتى يوجد المعنى فيه خطيباً،

(١٠) - ينظر: أنظمة الدلالة في العربية المعنى وظلال المعنى، محمد يونس علي، ٢٠٦.

(١١) - أنظمة الدلالة في العربية المعنى وظلال المعنى، محمد يونس علي، ٢٠٧.

(١٢) - فيض القدير شرح الجامع الصغير، ٢٣٠/٤.

(١٣) - الصناعتين، أبو هلال العسكري، ٥١.



وإنما الشأن في تحسين ما ليس بحسن وتصحيح ليس بصحيح بضرب من الاحتيال والتحيل<sup>(١٤)</sup>، والأمر الجلي في هذا العصر، هو ما خلفه الخلفاء الأمراء من خطب ورسائل تعبر عن بلاغة عالية تعد ذخيرة لغوية ومدونة راقية أسهمت في رفع اللغة العربية، فهي فاتحة تطور الدرس البلاغي فيما بعد، إذن بعد عصر الإسلام عصر البلاغة ومشعل الفصاحة؛ كونه مرتبطاً بنزول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، وقد كان لذلك أثرٌ كبيرٌ في ما بعد في بلورة النظرية البلاغية والنقدية عند العرب.<sup>(١٥)</sup> وإذا انتقلنا إلى البلاغة في العصر الأموي فإن هذا العصر ليس كسابقته؛ كون هذا العصر اختلطت فيه العجم بالعرب، فتبلبلت لغة العرب واستكانت بلاغتها وسليقتها، وقد اشتهر في هذا العصر سوق المريد؛ حيث تبارى فيه الشعراء، وبخاصة ثلاثي النفاضة جرير والفرزدق والأخطل، مما أدى إلى اشتعال لهب الهجاء، وراحت صيحات الغزل العذري تتناثر في أشعار الشعراء، كما اشتهر المدح وشعر الحماسة والغزل المادي في الحجاز؛ بسبب تأثر الحضارة العربية بالحضارة الأجنبية، أما الثقافة فكانت ((روافدها ثلاثة جاهلي وإسلامي وأجنبي، وانتشر الشعر في الحواضر الإسلامية وخاصة بمكة والبصرة ونجد، والكوفة والبصرة وخراسان والشام ومصر وغيرها)).<sup>(١٦)</sup>

ولعل الشيء الذي تطوّرت فيه لغة العرب وبانت فيه البلاغة بكل مقاييسها هو فن الخطابة؛ حيث ازدهرت ازدهاراً مذهلاً وفي هذا يقول شوقي ضيف: ((لعل العرب لم يعرفوه في أي عصر من عصورهم القديمة، فقد كانوا أصحاب مواهب بيانية، وعملت بواعث كثيرة على أن تتوهج هذه المذاهب في الخطابة حينئذ))<sup>(١٧)</sup>، ومن الخطباء المشهورين آنذاك زياد بن أبيه والحجاج بن يوسف الثقفي؛ حيث كان هذا الأخير خطيباً مصقاً والأمر نفسه نجده عند زياد بن أبيه؛ إذ يقول فيه الشعبي: ((ما سمعت متكلماً على منبر قط إلا أحببت أن يسكت خوفاً من أن يسيء إلا زياداً فإنه كلما أكثر كان أجود كلاماً))<sup>(١٨)</sup>، ومما رفع من أفق البلاغة في هذا العصر تلك المناظرات التي دارت بين المذاهب العقديّة كالمرجئة والشيعية والمعتزلة، فكان طبيعياً أن تتطور الدراسات البلاغية.

والدرس البلاغي شأنه شأن الدرس النحوي كان له مجالس وأسواق طورت هذا الدرس، ففي العصر الأموي أشتهر سوق الكناسة في الكوفة يلتقي فيه الشعراء ويتبارون بالشعر فيأخذ هذا من ذلك، فهو شبيه بالمسرح يأتيه من كل صوب وحذب، ليس في الشعر وحسب، بل في النثر كما نجده عند عبد الحميد الكاتب؛ حيث استخرج من كتابته أمثلة مسحت في صناعته الكتابية حيث يقول أبو هلال العسكري: ((ومن عرف ترتيب المعاني، واستعمال الألفاظ على وجوهها بلغة من اللغات، ثم انتقل إلى لغات أخرى، تهيأ له فيها من صنعة الكلام مثل ما تهيأ له في الأولى، ألا ترى أن عبد الحميد الكاتب استخرج أمثلة الكتابة التي رسمها لمن بعده من اللسان الفارسي، فحولها إلى اللسان العربي، فلا يكمل لصناعة الكلام إلا من يكمل لإصابة المعنى، وتصحيح اللفظ، والمعرفة بوجوه الكلام))<sup>(١٩)</sup>، لكن الجدير بالذكر أنّ الذوق الفني المعروف في هذا العصر؛ والذي تزامن مع الدراسات اللغوية الأخرى ما كان مقتصرًا على زمن دون زمن، فلكل عصر رجاله لهم حس بلاغي وأذن مرهفة وعاطفة جياشة وقد تنبه لهذا ابن قتيبة حين قال: ((ولم يقصر الله العلم والشعر والبلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوماً دون قوم، بل جعل ذلك

(١٤) – ينظر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٢٦٣.

(١٥) – ينظر: المصدر نفسه، ٢٦٤.

(١٦) – عندما تتواصل نغير- مقارنة تداولية معرفية للآليات والتواصل والحجاج، ، ١١٦.

(١٧) – التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، ٢٠٦.

(١٨) – البيان والتبيين، أبو عمرو بن بحر الجاحظ، ٢٤٥/١.

(١٩) – الصناعتين، ٢٤/١.



مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر)) (٢٠)، ومن تطور الدرس البلاغي في هذه الفترة ما نلاحظه عند الشعراء من نقد؛ يسبب تذوقهم وحسهم بسياق الكلمة في موضعها، ومن الأدلة الموثقة في الكتب ما قالته امرأة لكثير عزة: (٢١)

يمجُّ الندى جنجائها وعرارها

فما روضة بالحزن طيبة الثرى

إذا أوقدت بالمندل الرطب نارها

بأطيب من أردان عزة موهنا

قال: نعم قالت: فض الله فالك، أرأيت لو أن ميمونة الزنجية بخرت بمندل رطب، أما كانت تطيب؟ ألا قلت كما قال سيدك امرؤ القيس:

وجدت بها طيبا وإن لم تطيب

ألم تر أني كلما جنثُ طارقا

أمَّا البلاغة في العصر العباسي العصر العباسي عصر الإسلام الذهبي؛ حيث توسعت فيه الدراسات اللغوية، وترجمت الكتب الفلسفية وظهرت جل المدارس النحوية وحتى البلاغية، فقد فرط فيه التشجيع العلمي من لدن الخلفاء والأمراء فكان التصوف والزهد ويقابله الترف والبذخ؛ فالعصر العباسي اصطبح بصبغة فارسية، فكان حتما أن يكون ثمة تعارض وتضارب بين فئتين فئة تدعوا للدين وفئة تدعوا إلى ما دون ذلك. (٢٢)

المبحث الثاني: البعد التطبيقي للمباحث البلاغية في آيات الانقلاب

يعدُّ القرآن الكريم المصدر الأول والرئيس الذي يعتمد عليه في شتى الدراسات اللغوية والنحوية، وكذا البلاغية، إذ يعتبر مرجعا وقاعدة أساسية لكل علم وبحث لغوي، ونصاً فريدا لما يجمع من بيان وفصاحة وبلاغة، وله الفضل الكبير في توحيد وتطوير اللغة العربية وآدابها، فهو الذي أكسبها بقاءها وديمومتها غير الأزمنة والعصور، ذلك أن جهود الباحثين والعلماء على اختلاف تخصصاتهم وميادين بحثهم اهتموا بدراسته، وذلك لما اشتمل عليه من أساليب البيان والإعجاز، حيث أفردوا كتباً اهتموا فيها بدراسة مختلف العلوم التي تعيد من أسرار اللغوية، وقبل الولوج في الدراسة لا بد من أن نشير إلى لفظ (الانقلاب) ورد في القرآن الكريم بأساليب بلاغية عدّة، وأول ما نتناول دراسته:

-الالتفات

إنّ الالتفات من أضرب البلاغة العربية وعدّه البلاغيون من محاسن اللفظ ورونق الأسلوب، وعرفوه بأنّه (( هو انتقال من أسلوب إلى أسلوب آخر مخالفاً له، وهو العدول من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة)) (٢٣)، أي: (( أنه يعدل من جهة الكلام إلى جهة أخرى افتنانا في الكلام وتوسعا فيه)) (٢٤)، ويعدُّ الالتفات من شجاعة العربية على معنى أنّ البلغاء كانت لديهم شجاعة بيانية استطاعوا بها أن يفاجئوا المتلقي بالنتقل من طرق الكلام الثلاثة، وهو من الأساليب البلاغية ذات اللطائف النفسية وقد تكرر استعماله في القرآن الكريم بكثرة، وهو من فنون القول يشبهه تحريك آلات التصوير السينمائي ينقلها من مشهد آخر في المختلفات والمتباعدات التي يراد عرض صور منها، ويهدي الذوق السليم إلى استعمال الالتفات استعمالاً بارعاً يحقق به البليغ الفوائد في نفس المتلقي أو فكره، مع ما يحقق به من الإقتصار والإيجاز في العبارة (٢٥)، ومن مواضع الالتفات في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا

(٢٠) - قضايا الحداثة عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، ٧٣.

(٢١) - دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، ٦٦.

(٢٢) - ينظر: التأصيل البلاغي عند القدماء دراسة وصفية، أ. فاتح مرزوق، ١٧.

(٢٣) - الطراز المتضمن لأسرار علوم البلاغة وحقائق الإعجاز، العلوي، ١٣٢/٢.

(٢٤) المصدر نفسه، ٤٣٥/٢.

(٢٥) - ينظر: البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، ٤٧٩/١.



لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضَيِّعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَعُوفٌ رَحِيمٌ (البقرة: ١٤٣)، نلاحظ أن الالتفات في الآية الكريمة قد جاء من الخطاب إلى الغيبة وقد تمثل في قوله تعالى: (مَنْ يَتَّبِعْ) إذ كان الظاهر أن يقال (من يتبعك) لكنه ورد باللفظ (مَنْ يَتَّبِعْ) للإشعار بلغة الإشباع، وللإيماء بأن مضمون الخبر من الأسرار الجديدة بأن يختص النبي (ﷺ) بمعرفتها<sup>(٢٦)</sup>، وكذلك لما في ذَلِكَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْبَلَاغَةِ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْمُخَاطَبَ هُوَ الْمُوصُوفُ بِالرَّسَالَةِ. (٢٧)  
-الإطناب

يشكل الإطناب فرعاً من فروع علم المعاني وهو العلم الذي يدرس كل خروج للجملة العربية في تركيبها النحوي، أو اللغوي، بدافع تحليل هذا الخروج، ومعرفة أثره على المعنى و المتلقي<sup>(٢٨)</sup>، والإطناب مصدر أطنب الإطناب مصدر أطلب يفتح الهمزة ويسمى الإطناب بكسرها وفي الأصل اللغوي: هي ((الطوال من حبال الأخبية ثم استيعرت الكلام، وأصبحت تعلي البلاغة في المنطق والوصف مدحاً، أو نمأً، وأطلب في الكلام بالغ فيه، وطول تبوله، واجتهد فيه، وأطلبت الإبل، إذ أتبع بعضها بعضاً في السير، وأطلبت الريح إذا اشتدت في غبار))<sup>(٢٩)</sup>، وفي الاصطلاح: هو ((زيادة اللفظ على المعنى لفائدة))<sup>(٣٠)</sup>، أو هو ((تأدية المعنى بعبارة زائده عن متعارف أوصاف البلاغة لفائدة تقوية وتوكيد المعنى))<sup>(٣١)</sup>، إذ يعني عرض المعنى بزيادة الألفاظ لإضافة معان جديدة على المعنى الرئيسي، وذلك التقوية المعنى، وتوكيده فالشرط الرئيس فيه، أن تحقق الزيادة فائدة جديدة على المعنى، وهذا الذي يميز الإطناب عن غيره. بينما عرفه بعض البلاغيين، أنه عكس الإيجاز، والإطناب عكس الإيجاز، وله موضع فيخاطب به الخواص، والعوام<sup>(٣٢)</sup>، حاصل الإطناب الاشتداد في المبالغة في المعاني، أخذاً من قولهم في المعنى اللغوي أطنيت الريح إذا اشتد هبوبها، وهذا يدل على الصلة الوثيقة بين المعنى الاصطلاحي للإطناب والمعنى اللغوي. وللإطناب دواع، وأسباب لاستعماله، شأنه في ذلك شأن باقي أنواع البلاغة، وأهم تلك الدواعي تثبيت المعنى المراد، والتوكيد، ودفع الإبهام، وإثارة الحمية من أجل التعظيم، أو التهويل، وغير ذلك<sup>(٣٣)</sup>، وهو كغيره من الأساليب البلاغية التي وردت في القرآن الكريم من ذلك ما ورد في سورة الملك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ (الملك: ٤)، نلاحظ أن (كَرَّتَيْنِ) كناية عن مطلق التكرار، وليس فقط اثنين، وأصل استعماله التثنية في معنى التكرير، أنهم اختصروا بالتثنية تعداد ذكر الاسم تعداداً يشير إلى التكرير، إذن المعنى لإيراد حقيقته ولكن المراد المبالغة والتكرير وهذا كقولهم ( لبيك، سعيدك، وحنانيك) فالتثنية هنا أفادت التكرير، وأيد ذلك ما تقدمه من قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَفُورُ﴾ تنزيل بالجملة الخبرية، والمعنى كامل القدرة له جلا وعلو والتذليل هو: (( أن يؤتى بعد تمام الكلام بكلام مستقل في

(٢٦) -ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١٢/٢.

(٢٧) -ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٥٩٨/١.

(٢٨) -ينظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، بهاء الدين السبكي، ٩٦/١.

(٢٩) -ينظر: لسان العرب، ابن منظور، ٥٦٢/١.

(٣٠) -المثل السائر، ابن الأثير، ١٠٩.

(٣١) - جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ٢٢٨.

(٣٢) -ينظر: فن البلاغة، حسين عبد القادر، ١٨٧.

(٣٣) -ينظر: جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ٢٠٢.



معنى الأول تحقيقاً لدلالة المنطوق الأول أو مفهومه<sup>(٣٤)</sup>، فالعزيم هو القوي الغالب الذي لا يعجزه شيء، والغفور هو الذي يكرم أوليائه ويصفح عنهم، (فارجع البصر) (ثم ارجع البصر) كرر الأمر بالنظر لانتهاء رؤية التفاوت، وليكون نفي التفاوت معلوماً لإرشاد المشركين، فالتكرار أمر بغيبض إذا لم يكن لفائدة، لكنه هنا جاء لمعنى وغرض معين<sup>(٣٥)</sup>.

#### -السجع

السجع من الفنون البديعية المهمة التي تحسن الكلام وتزينه لا سيما من حيث النطق، فهو يعطي جرساً موسيقياً وكانت العرب تستعمله، فهو أن تتواطأ فاصلتان في النثر على حرف واحد أي انتهاء الجملتين بكلمتين متشابهتين في أواخرهما<sup>(٣٦)</sup>، ومعناه ((توافق الفاصلتين في الحرف الأخير من الكلام المنثور، وهو يعد في النثر كالقافية في الشعر))<sup>(٣٧)</sup>، ويقول ابن سنان فيه (( كما أن الشعر يحسن بتساوي قوافيه كذلك النثر يحسن بتماثل الحروف في فصوله ويقول في موضع آخر فأما القوافي فإنها تجري مجرى السجع))<sup>(٣٨)</sup>، وللسجع في القرآن نصيب في مواضع منها ما ورد في قوله تعالى ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنِينَ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا (١١) بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَرُئِيَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ ظَنَّ السَّوِّءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾ (الفتح: ١١ - ١٢)، فالسجع في الآية الأنفة الذكر بين في الكلمتين (خبيراً/ بوراً) وبينهما اتفاق الفاصلة في التقفية واختلاف الوزن ، أما الاتفاق في التقفية يدل بحرفين (ر-ا)، وهذا من النوع السجع المطرف، فجاء في هذا الموضع متناسق مع معنى الآية الكريمة أي ليس الأمر كما زعمتم بل الله سبحانه وتعالى مطلع على ما في قلوبكم من الكذب والنفاق ثم أظهر تعالى ما يخفونه في أنفسهم ، فكانوا قوماً هالكين عند الله، مستوجبين لسخطه وعقابه<sup>(٣٩)</sup>، لظنهم واعتقادهم أنهم يقتلون وتستأصل شأفتهم وتستبد خضراؤهم ، ولا يرجع منهم مخبر .<sup>(٤٠)</sup>

#### -القصر

يعدُّ القصر من الأساليب الغنية بالعبارات الدقيقة وهو (( فن دقيق المجري لطيف المغزى جليل المقدار كثير الفوائد، غزير الأسرار))<sup>(٤١)</sup>، فهو : ((تخصيص شيء بشيء بإحدى طرق لقصر، والمراد بالشيء الأول المقصور، وبالشيء الثاني المقصور عليه))<sup>(٤٢)</sup>، وقيل هو : (( تخصيص أمر بأخر بطريق مخصوص))<sup>(٤٣)</sup>، فالقصر من ضمن هذه القوائم التي قام عليها النص القرآني لما له من أثر في بنية الدلالة المقصودة، وحصر تلك الدلالة بحسب درجة وعي المتلقي، وهذه البنية تمثل البنية الرئيسة التي تعتمد في إنتاج دلالتها على المستوى العميق، وذلك من خلال كونها أداة تعبيرية في "تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، فضلا عن ذلك فالقصر يمارس وظيفته في الكلام من خلال مهمته الإنتاجية القائمة على

(٣٤) - البرهان في تفسير القرآن، بدر الدين الزركشي، ٦٨/٣.

(٣٥) - ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢٠/٢٦، والكشاف، الزمخشري، ٥٦٤/٤.

(٣٦) - ينظر: البلاغة والتحليل الأدبي، أحمد أبو حاق، ١٦٩.

(٣٧) - البليات والبديع، طالب محمد الزوبعي، ناصر حلاوي، ١٥٢.

(٣٨) - سر الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، ١٦٤، ١٧١.

(٣٩) - ينظر: صفة التفاسير، محمد علي، ٢٢١.

(٤٠) - ينظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، ٢٤٣/٧.

(٤١) - من بلاغة النظم العربي- دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، ٨.

(٤٢) - المنهاج الواضح للبلاغة، حامد عوني، ٨٠/٢.

(٤٣) - جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، ١٥٤.



الإسناد في منطقة الإستاذ ومتعلقته، وهذه المهمة تجمع بين وظيفتين على صعيد واحد، هما الإثبات والنفي، إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه، أي أن المهمة تمارس فاعليتها في الحضور والغياب، فضلاً عن اتكائها أساساً على البنية العميقة في أداء مهمتها<sup>(٤٤)</sup>، ومن مواضع القصر في القرآن الكريم قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٤)، فالقصر في الآية الكريمة قصر أفراد مبني على التنزيل المذكور تنزيل المعلوم منزلة المجهول؛ لغرض بلاغي هو الإنباء بعظم موته (ﷺ) في نفوس الصحابة، وشدة حرصهم على بقائه معهم، وهي من قصر الموصوف على الصفة<sup>(٤٥)</sup>، أما جملة (قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ) فهي صفة لـ (رَسُولٌ) أي ما هو إلا رسول موصوف بخلو الرسل قبله، بمعنى موتهم أو رفعهم إلى السماء، وأن محمداً ما هو بخالد، ومن شأنه الموت، وهذا رد على من يعتقد خلو الرسل من قبله، وعلى من يحاول ترك الدين ونصرته بعد موته (ﷺ)؛ لذا أنزلوا منزلة من يعتقد انتفاء خلو الرسل من قبله.<sup>(٤٦)</sup>

-النداء

النداء هو أحد الأساليب الرئيسية في اللغة العربية الذي يضم العديد من الأحرف التي عملت على توجيه الوظائف النحوية وأغراضه البلاغية ضمن التراكيب والسياقات المختلفة التي ورد فيها، وهو في اللغة (( الصوت...وقد ناداه ونادى به وناداه مُناداة ونداء أي صاح به وأندى الرجل إذا حسن صوته... والندى بُعد الصوت.. والانداء بُعد مدى الصوت))<sup>(٤٧)</sup>، وكذلك يُراد به مد الصوت وارتفاعه، وفي الاصطلاح يُراد به طلب إقبال المدعو على الداعي بأحد حروف النداء المخصوصة<sup>(٤٨)</sup>، وقد ورد النداء في القرآن الكريم بمواضع كثيرة في القرآن الكريم من المواضع التي ورد فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَزِدُّوكُمْ عَلَىٰ أَغْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (آل عمران: ١٤٩)، إنَّ النداء الوارد في الآية الكريم جاء للتنبيه والتحذير بأداة النداء (يا) مع (أي) وهاء التنبيه في قوله (يَا أَيُّهَا)، فالله سبحانه قد حذر المؤمنين من إغواء الكفار وإضلالهم وناداهم بوصف الإيمان تنبيهاً على تبيان ما بينهم وبين الكفار، ولم يأت بلفظ (قل) ليكون خطاباً منه تعالى لهم وتأنيساً لهم، وأبرز نهيهم عن موافقتهم وطواعيتهم في صورة شرطية؛ لأنه لم تقع طاعتهم لهم.<sup>(٤٩)</sup>

ومن مواضع النداء في القرآن سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾ (المائدة: ٢١)، نلاحظ أنّ كلمة (يَا قَوْم) يدل على النداء الحقيقي لكونه طلب إقبال المدعو على المدعي بأحد حروف النداء المخصوصة وهي (الياء) إذ أناب كل حرف منها مناب الفعل (أدعو)؛ لأنَّ الجملة (يَا قَوْمِ ادْخُلُوا) هي الأرض المطهرة التي أمركم بدخولها وهي الشام فلا تنهزموا خوف العدو فتقبلوا خاسرين في سعيكم، وفرض عليكم دخولها لإنقاذكم من الأهوال التي نزلت بكم في أرض مصر من فرعون وجنده.<sup>(٥٠)</sup>

-الإيجاز

(٤٤) -ينظر: البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، ٢٦٠-٢٦١.

(٤٥) -ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ١١٠/٤.

(٤٦) -ينظر: المصدر نفسه، ١١٠/٤.

(٤٧) -ينظر: لسان العرب، ابن منظور، مادة (ندى) ٣١٥/١٥.

(٤٨) -ينظر: شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني، ٣٣٣/٢.

(٤٩) -ينظر: البحر المحيط في التفسير، أبو حيان الأندلسي، ٢٨١/٣.

(٥٠) -ينظر: تفسير الجلالين، جلال الدين السيوطي، ١٣٠.



نوع من أنواع علم البلاغة وعنصر متميز في التنوع الأسلوبي من حيث البنية التركيبية والفنية والوظيفة الجمالية، يولد طاقة إيحائية في مستويات التراكيب، لما فيه من أسرار بلاغية في اختيار اللفظ المناسب في موضعه المؤثر المؤدى للمعنى بإيجاز، فهو: (( هو الجمع للمعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة))<sup>(٥١)</sup> أداء حاجة المعنى، و(( أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط))<sup>(٥٢)</sup>، وقد سبق وأكد ذلك المعنى ابن الاثير (( دلالة اللفظ على المعنى من غير زيادة عليه))<sup>(٥٣)</sup> و ((جمع المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل الوافي بالغرض مع الإبانة والإفصاح))<sup>(٥٤)</sup> مما يعطي ثراء في المعنى، وقد شكل ظاهرة مهمة في العربية وذلك لميلها إلى الإيجاز والاختصار، واتسم الإيجاز في الخطاب القرآني بتنوع الأدوات والإيحاءات في المفردة مما يؤدي إلى طاقة تعبيرية متنوعة، ومن موارد في القرآن الكريم (بالحذف) قوله تعالى: ﴿فَعْلَبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأَلْقَى السَّحْرَ سَاجِدِينَ﴾ (الأعراف: ١١٩ – ١٢٠)، نجد أنّ الحذف في الآية الكريمة تمثل في قوله تعالى (فَعْلَبُوا هُنَالِكَ) فقد حذف الفاعل لأنّ الغرض هنا منصب على بيان أنّ السحرة غلبوا، وفيه إشارة إلى قوة خفية جعلت عصا موسى (ﷺ) تسعى وقوله (وَأَلْقَى السَّحْرَ) حذف الفاعل للإشارة إلى السرعة الفائقة في وقوع الحدث، وقوة خفية استلبت جبروتهم فخرروا ساجدين، فجاء الحذف في هذا الموضع وسيلة للتعبير وطريقة لبيان وتصوير سرعة الحدث وسرعة الإجابة للأمر، بعد ما ((أوحى الله إليه أن ألق عصاك ، فألقى عصاه ، فإذا هي ثعبان فاغر فاه ، يبتلع حبالهم وعصبيهم ، فألقى السحرة عند ذلك سجدا ، فما رفعوا رؤوسهم حتى رأوا الجنة والنار وثواب أهلها)).<sup>(٥٥)</sup>

-الأمر

هو (( طلب الفعل على وجه الاستعلاء والإلزام، ويقصد بالاستعلاء أن ينظر الأمر لنفسه على أنّه أعلى مرتبة ممّن يخاطبه أو يوجه الأمر إليه أكان أعلى منزلة في الواقع أم لا))<sup>(٥٦)</sup>، ومن المواضع التي ورد فيها الأمر في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتْيَانِهِ اجْعَلُوا بَضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (يوسف: ٦٢)، نلاحظ أنّ صيغة فعل الأمر في الآية الكريمة تمثلت في الكلمة (اجعلوا) أنها الصيغة لفعل الأمر للمخاطبين (أنتم) وهي طلب الفعل على وجه الاستعلاء، فأسلوب الأمر الذي بدا على معنى الأصلي أو الحقيقي، وأنّ المتكلم يوسف (ﷺ) إلى جميع فتنيانه ليأمرهم أن يجعلوا بضاعة أخيه مختلفة، فلا يقصد يوسف (ﷺ) بهذا القول قصدا مجازيا، أي: ((اجعلوا بضاعتهم في رحالهم لعلهم يعرفونها إذا انقلبوا إلى أهلهم لعلهم يرجعون)).<sup>(٥٧)</sup>

-الاستعارة

هي (( تعليق العبارة على غير ما وضعت له في أصل اللغة على جهة النقل للإبانة، والفرق بين الاستعارة والتشبيه أنّ ما كان من التشبيه بأداة التشبيه في الكلام فهو على أصله، لم يغير عنه في الاستعمال، وليس كذلك الاستعارة؛ لأنّ مخرج الاستعارة مخرج ما العبارة ليست له في أصل اللغة، وكل

(٥١) - كتاب الحيوان، الجاحظ، ٨٦/٣.

(٥٢) - مفتاح العلوم، السبكي، ٣٨٨.

(٥٣) - المثل السائر، ٢٨١/٢.

(٥٤) - جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبدیع، أحمد الهاشمي، ١٧٦.

(٥٥) - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٢٩/٩.

(٥٦) - ينظر: في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، ٧٥.

(٥٧) - أنوار التنزيل وأسرار التأويل، البيضاوي، ٢٩٧/٣.



استعارة فلا بدّ لها من أشياء: مستعار، مستعار له، ومستعار منه<sup>(٥٨)</sup>، ومن موارده في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الحج: ١١)، نلاحظ أنّ الاستعارة قد تمثلت في الآية الكريمة في قوله (انقلب على وجهه) ويقال: رجع على عقبه وعلى عقبه ونكص على عقبه بمعنى رجع إلى المكان الذي جاء منه، لأنه كان جاعلاً إياه وراءه فرجع<sup>(٥٩)</sup>، وورود كل من هذه التراكيب في القرآن الكريم هو ((تمثيل لحال المرتد إلى الشرك بعد أن أسلم بحال من خرج في مهم فرجع على عقبه ولم يقض ما خرج له، وهذا أبلغ في تمثيل سوء الحالة من أن يقال وترجع إلى الكفر بعد الإيمان))<sup>(٦٠)</sup>، تمثل الآية حال ضعيف الإيمان الذي لا يرجو بإيمانه سوى الغنائم الدنيوية، فهو عند مواجهة المحن يعود إلى الشرك والضلال ((والممثل به من يدخل مع قوم دخول طالب المعلم فقط، فهو يجلس على طرف منازلهم، وفي أواخر مواقعهم قلقاً مستوفراً مستعداً للهروب، فإن وجد معهم معلماً استقر في موقعه واطمأن وأصاب من المغنم، وإن وجد أن مصيبة يمكن أن تنزل بهم فيصيبه منها شيء، أو لاحت له مغنم عند أعدائهم تركهم وانقلب عليهم ولكن الصورة لا بد أن تكون أدق من هذه الصورة، إن المرتد عن عبادة الله منتكس على وجهه وساقط إلى منحدر، فهو كمن ينقلب على وجهه بعد أن يترك القوم الذين دخل في طرف مواقعهم طمعاً بالمغنم لديهم))<sup>(٦١)</sup>، وبالنظر في السياق القرآني للاستعارة التمثيلية (انقلب على وجهه)، نجدها جواباً للشرط (إن أصابته فتنة)، مما يدل أن الإصابة بالفتنة شرط لحدوث الردة والرجوع عن الحق، وبتوظيف الفعل الماضي دلالة على تحقق الردة لدى المنافقين، واختيار كلمة (وجهه) أسهم في بلاغة التركيب الاستعاري، إذ أن الوجه أشرف جسم الإنسان، وعنوان كرامته، فإذا انقلب الإنسان على وجهه أصبح ذليلاً حقيراً، فهو قد خسر الدنيا والآخرة<sup>(٦٢)</sup>.

ومن مواطن الاستعارة في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ﴾ (المطففين: ٣١)، الانقلاب: هو الرجوع إلى المكان الذي جيء منه، وهو مستعار من قلب الشيء، أي جعل أعلاه أسفله، ومنتهى آخره، وأهل الرجل وزوجه وأولاده، وهم الذين يبنسط إليهم بالحديث، وتكرير فعل (انقلبوا) من النسيج الجزل في الكلام؛ لما في إعادة الفعل من زيادة تقرير معناه في ذهن السامع، ولزيادة تقرير ما في الفعل من إفادة التجدد حتى يكون فيه استحضار الحالة<sup>(٦٣)</sup>، ولا تكون إعادة الفعل وجعله جواباً للأول إلا إذا اتصل بالتالي ما ليس بالأول.

-الجناس

حدّ البلاغيون الجناس بأن ((تنفق اللفظتان في اللفظ مع الاختلاف في المعنى))<sup>(٦٤)</sup>، ويظهر من هذا التعريف أن الجناس ذو طبيعة تكرارية منشؤها معاودة الألفاظ مع الاختلاف في المعنى، وبذلك يكتسب الجناس شرعية الانتماء إلى هذا القسم من البديع، إذ إنّ جوهر الجناس<sup>(٦٥)</sup> يقوم على الاشتراك اللفظي فالتجنيس إذن ضرب من ضروب التكرار الذي يفيد في تقوية تغمية جرس الألفاظ، ومن موارده في

<sup>(٥٨)</sup>النكت في إعجاز القرآن، ٧٩.

<sup>(٥٩)</sup>ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٣٠٠/٧.

<sup>(٦٠)</sup>المصدر نفسه، ٣٠٠/٧.

<sup>(٦١)</sup>أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حنبكة، ١٨٨-١٨٩.

<sup>(٦٢)</sup>ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ١٦٣/١٧.

<sup>(٦٣)</sup>ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ٢١١/٣٠.

<sup>(٦٤)</sup>مفتاح العلوم، السكاكي، ٤٢٩.

<sup>(٦٥)</sup>ينظر: جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث الدلالي والنقدي، د. ماهر مهدي هلال، ٢٨٤.



القرآن قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا<sup>٦٦</sup> وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾ (الشعراء: ٢٢٧)، في الآية الكريمة جناس اشتقاق وهو ما كان أحد ركنيه مشتق من الآخر، أو ما كان ركناه لهما أصل واحد في اللغة، فنلاحظ أن جناس الاشتقاق بين اللفظتين (منقلب) وهو مصدر ميمي و(ينقلبون) وهو فعل مضارع فلهما اشتقاق لغوي واحد، وقد أعطى الكلام جرسا موسيقيا وتناغما بين المفردات فهو نابع من طبيعة المعاني الطبيعية المعبر عنها، أي مرجع يرجعون إليه وأي معاد يعودون إليه بعد مماتهم فإنهم يصيرون إلى نار لا يطفأ سعيها ولا يسكن لهيها.  
(٦٦)

### الخاتمة

بعد أن انتهيت من رحلة البحث الممتعة في المباحث البلاغية في آيات الانقلاب، أود أن أذكر أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وهي على النحو الآتي:

١-تنوّعت المباحث البلاغية في المواضيع التي وردت فيها آيات الانقلاب بين علم المعاني والبديع والبيان، لكنّ كان لعلم المعاني النصيب الأوفر.

٢-بيّن البحث أنّ الالتفات جاء في موضعه لغرض بلاغي يريد المتكلم إيصاله إلى المتلقي.

٣-خرج الأمر في الموضوع الذي ورد فيه إلى معناه الحقيقي وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء.

٤-وقع الإطناب في آية الانقلاب في الكلمة لإيراد حقيقته المراد منها المبالغة والتكثير.

٥-أفاد الإيجاز بالحذف في الموضوع الذي ورد فيه التخفيف وتجنب الثقل ووسيلة للتعبير وطريقة لبيان وتصوير سرعة الحدث وسرعة الإجابة للأمر.

٦-جاء النداء في آيات الانقلاب بأسلوب إنشائي وذلك لغرض تقرير أوامر ونواهي ودعوة إلى الطاعة والالتزام بما بالأحكام.

٧-كانت الألفاظ في الاستعارة التمثيلية ألفاظ تخاطب الأذهان وتعمل الحواس، ممّا يجعلها تؤكّد المعنى، وتوضح الفكرة.

٨- لم يأتِ الجناس الاشتقائي لأجل التكلّف وإتّما جاء في الموضوع الذي ورد فيه مراعاة للمعنى والمقصد الذي يهدف إليه المتكلم ويروم تبليغه.

المصادر والمراجع

أولاً: القرآن الكريم

ثانياً: الكتب المطبوعة

١. أسرار البلاغة في علم البيان، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني(ت: ٤٧١هـ)، تحقيق: محمد

رشيد رضا، الناشر: دار المطبوعات العربية للطباعة والنشر، د.ت.

٢. أمثال القرآن وصور من أدبه الرفيع، عبد الرحمن حنبكة، الناشر: دار القلم، ط٢، دمشق،

١٩٩٩م.

(٦٦) ينظر: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، ٤٢٠/١٩.



٣. أنظمة الدلالة في العربية المعنى وظلال المعنى، محمد يونس علي، الناشر: دار المدار الإسلامي، ط٢، ٢٠٠٧م.
٤. أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت: ٦٨٥هـ) تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت - لبنان، ١٤١٨ هـ.
٥. الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني (ت: ٥٧٣٩هـ)، الناشر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، د.ط، القاهرة، ١٩٧١م.
٦. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت: ٥٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمد جميل، الناشر: دار الفكر - بيروت، ١٤٢٠ هـ.
٧. البرهان في تفسير القرآن، بدر الدين الزركشي (ت: ٥٧٩٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر، الناشر: دار الفكر، بيروت - ٢٠٠٩م.
٨. البلاغة العربية في ثوبها الجديد علم المعاني، د. بكري شيخ أمين، الناشر: دار العلوم للملايين، ط١، بيروت، ١٩٧٩م.
٩. البلاغة العربية، عبد الرحمن الميداني، الناشر: دار القلم، ط١، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.
١٠. البلاغة والأسلوبية، محمد عبد المطلب، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون الشركة المصرية العالمية للنشر، ط١، ١٩٩٤م.
١١. البلاغة والتحليل الأدبي، أحمد أبو حاق، الناشر: دار العلم للملايين، ١٩٩٦م.
١٢. البيات والبديع، طالب محمد الزوبعي، ناصر حلوي، الناشر: دار النهضة العربية، ١٩٩٦م.
١٣. البيان والتبيين، أبو عمرو بن بحر الجاحظ (ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار صعب، ط١، بيروت، ١٩٦٨م.
١٤. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (ت: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين الناشر: دار الهداية، د.ط، د.ت.
١٥. التأصيل البلاغي عند القدماء دراسة وصفية، أ. فاتح مرزوق، الناشر: منشورات مخبر الممارسات اللغوية، ط١، ٢٠١٤م.
١٦. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية، ١٩٨٤ هـ.
١٧. التداوليات علم استعمال اللغة، حافظ إسماعيلي علوي، الناشر: عالم الكتب الحديث، ط١، عمان، ٢٠١١م.
١٨. تفسير الجلالين، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: ٥٩١هـ)، الناشر: دار الحديث، ط١، القاهرة، د.ت.
١٩. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط١، بيروت، - ١٤١٩ هـ.
٢٠. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت: ٥٣١٠هـ)، ط٢، ١٣٨٩هـ، دار الفكر، لبنان - بيروت.
٢١. جرس الألفاظ ودلالاتها في البحث الدلالي والنقدي، د. ماهر مهدي هلال، الجمهورية العراقية، وزارة الثقافة والأعلام، ١٩٨٠م.



٢٢. جواهر البلاغة في علم المعاني والبيان والبديع، أحمد الهاشمي، الناشر: مطبعة أمير قم، ط٥، ١٣٧٠هـ.
٢٣. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني(ت: ٥٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شكر، الناشر: مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٤م.
٢٤. شروح التلخيص، سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني، القزويني - ابن يعقوب المغربي - بهاء الدين السبكي، الناشر: دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت - لبنان، د.ت.
٢٥. صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د.ت.
٢٦. الصناعتين، أبو هلال العسكري(ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، الناشر: المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤١٩هـ.
٢٧. الطراز المتضمن لأسرار علوم البلاغة وحقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن إبراهيم الحسيني العلوي(ت: ٥٧٤٥هـ)، الناشر: دار الكتب الخديوية، د.ط، مصر، ١٣٢٣هـ-١٩٧٤م.
٢٨. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العنصرية للطباعة والنشر، ط١، بيروت - لبنان، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
٢٩. عندما نتواصل نغير- مقارنة تداولية معرفية للآليات والتواصل والحجاج، عبد السلام عشير، الناشر: دار المغرب، ط١، المغرب، ٢٠٠٤م.
٣٠. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري(ت: ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي الناشر: دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
٣١. الفصاحة، ابن سنان الخفاجي، تحقيق: عبد المتعال الصعيدي، مصر، ١٩٥٣م.
٣٢. فن البلاغة، حسين عبد القادر، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٠٥هـ-١٩٩٨م.
٣٣. في البلاغة العربية، عبد العزيز عتيق، الناشر: دار النهضة، ط١، بيروت- لبنان، د.ت.
٣٤. فيض القدير شرح الجامع الصغير، زين الدين محمد المناوي(ت: ١٠٣١هـ)، الناشر: دار المعرفة، ط١، ١٣٩١هـ-١٩٧١م.
٣٥. قضايا الحداثة عبد القاهر الجرجاني، محمد عبد المطلب، الناشر: مكتبة لبنان، ط١، ١٩٩٥م.
٣٦. كتاب الحيوان، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي الجاحظ(ت: ٢٥٥هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٤هـ، بيروت.
٣٧. الكشف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري (ت: ٥٣٨هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.
٣٨. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي(ت: ٧١١هـ)، الناشر: دار صادر، ط٣، بيروت، ١٤١٤ هـ.
٣٩. المثل السائر، ابن الأثير الجزري(ت: ٦٣٧هـ)، تحقيق: كامل محمد عويضة، الناشر: دار الكتب العلمية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
٤٠. المدخل لدراسة البلاغة العربية، محمد أبو شارب، الناشر: دار الوفاء لنديا الطباعة والنشر، ط١، القاهرة، ٢٠٠٧م.
٤١. مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، الناشر: دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، لبنان، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.



- ٤٢ . مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت:٥٣٩٥)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، الناشر: دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ٤٣ . من بلاغة النظم العربي- دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، عبد العزيز عبد المعطي عرفة، الناشر: عالم الكتب، ط٢، بيروت- لبنان، د.ت.
- ٤٤ . الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، أبو القاسم الحسن بن بشر الأمدي، تحقيق: السيد أحمد صقر، الناشر: دار المعارف، ط٤، مصر، ١٩٦١م.
- ٤٥ . النكت في إعجاز القرآن، (ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)، علي بن عيسى الرماني(ت: ٥٣٨٤)، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ومحمد زغول عبد السلام، الناشر: دار المعارف، ط٣، د.ت.